الفصل الرابع:

التكامل الفكري الأسري في الرؤية الإسلامية

منى عبد القادر الحمد[1]

مقدمة:

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ التكامل الفكري الأسري في الرؤية الإسلامية من الضرورات البحثية في مجال الدراسات الأسرية الإسلامية، لا سيّما في ظل التأثيرات السلبية للتطورات والتغيرات المعاصرة والغزو الثقافي الغربي الموجه. فالناظر في واقع الأسر المسلمة المعاصرة يجدها قد تعرضت للعديد من التغيرات في مفهومها وأصل بنائها ووظائفها ونظامها وغاياتها، وظهرت الثنائيات المتصارعة وخاصة بين الرجل والمرأة -أساس البناء الأسري-، وراجت دعوات بناء الأسرة اللاتقليدية، وبناء العلاقات الأسرية على أساس المنفعة والمصالح المادية، وسيادة القيم والثقافة الغربية في كيان الأسر المسلمة، وضعف مشاعر المودة والرحمة -التي تعد أسّ الكيان الأسري-، وظهور الانعزالية والمصالح الفردية، وفقدان الأسرة أثرها في الصلاح والتقدم الاجتماعي بدعوى مواكبة التقدم والتطور.

ومن هنا، يأتي هذا البحث لبيان التكامل الفكري الأسري لتحقيق التماسك الأسري، الذي يعين أفراد الأسرة على مواجهة التغيرات والتحديات الأسرية المعاصرة.

---

(١) ماجستير في التربية الإسلامية، وتحضر الدكتوراه في التربية الإسلامية بجامعة اليرموك/الأردن. البريد الإلكتروني: monaalzoubi84@yahoo.com.

أولاً: مفهوم التكامل الفكري الأسري ومقوماته

١- مفهوم التكامل الفكري الأسري:

لم تقف الباحثة على تعريف للتكامل الفكري الأسري في مجال التربية وفي مجال الدراسات الأسرية مع أنه يعدّ من الموضوعات البحثية المهمه قديماً وحديثاً؛ فقد تحدث العلماء عن التكامل بين العلم والعمل،(١) وأكَّد ابن تيمية أهمية التكامل في "درء التعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول"،(٢) وظهرت حديثاً محاولات إبراز التكامل بين الجانب النظري والجانب العملي في الميادين العلمية كافة، وظهرت فكرة التكامل بين العلوم المختلفة، والتكامل بين العلم والدين، والتكامل في مناهج التربية والتعليم، والتكامل بين الأصالة والمعاصرة، والتكامل المعرفي... .(٣)

وبالنظر في تعريف التكامل لغةً واصطلاحاً يتبين أنه يتمحور حول: "ترابط الأجزاء وتركيبها لتكوين كلٍّ يتسم بالانسجام والتوافق."(٤) وفي مجمل تعريفات الفكر تبيّن أنها تتمحور حول: "مجموع العمليات الذهنية المنتجة للآراء، والأحكام والتصورات والرؤى حول أمر ما."(٥) وبالنظر في تعريف الأسرة

---

(١) البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب. **اقتضاء العلم والعمل**، تحقيق: محمد ناصر الألباني، دمشق: المكتب الإسلامي، ط٥، ١٩٨٤م.

(٢) ابن تيمية، تقي الدين الحراني أبو العباس. **درء تعارض العقل والنقل**، القاهرة: مركز الأهرام، ١٩٨٨م.

(٣) ملكاوي، فتحي حسن. "مفاهيم في التكامل المعرفي"، **مجلة إسلامية المعرفة**، عدد٦٠، ربيع ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٦.

(٤) أسعد، يوسف ميخائيل. **آفاق تربوية**، القاهرة: نهضة مصر، ١٩٧٧م، ص٥. انظر أيضاً:
- العرايضة، لميا صالح نجيب. "التكامل في التربية الإسلامية"، (رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠٥م)، ص١٤.

(٥) العلواني، طه جابر. **الأزمة الفكرية المعاصرة**، هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٩٩٢م، ص٢٧. انظر أيضاً:
- القادري، أحمد رشيد. وأبو شريخ، شاهر. **الفكر التربوي الإسلامي**، عمان: دار جرير، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٣.

Obeikan.com

-الذي تم اختياره من مجموع التعريفات لشموله جميع أفراد الأسرة- تبين أنها: "الجماعة المعتبرة نواة المجتمع، التي تنشأ برابطة زوجية بين رجل وامرأة، ثم يتفرع عنها الأولاد، وتظل ذات صلة وثيقة بأصول الزوجين من أجداد وجدات وبالحواشي من إخوة وأخوات وبالقرابة القريبة من الأحفاد والأسباط -أولاد البنات- والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولادهم."[1]

ومما يجدر بيانه: أن هناك ما يشير إلى التكامل الفكري في النصوص الشرعية، فقول الرسول ﷺ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"[2] خطاب عام يشير إلى علاقات الترابط والتعاضد بين المؤمنين. والتكامل الفكري للأسرة المسلمة يدخل ضمن علاقات الترابط والتعاضد هذه. وقد خلصت الباحثة إلى تعريف للتكامل الفكري الأسري اعتمدته في هذه الدراسة، وهو: "ترابط وتناسق أفكار وآراء ورؤى أفراد الأسرة المنبعثة من الأصول المعرفية الإسلامية، التي تشكّل في مجموعها كلاً يتسم بالانسجام والتوافق والتوازن للحفاظ على نظام الأسرة المسلمة."

٢- مقومات التكامل الفكري الأسري:

يعتمد التكامل الفكري الأسري على مجموعة من المقومات التي تسهم في بنائه وتحقيقه وتفعيله بين أفراد الأسرة، ومن أهمها الآتي:

أ- وضوح مفهوم التكامل الفكري الأسري عند أفراد الأسرة، ووعيهم بأهميته في البناء الأسري واستقراره وفي مواجهة التحديات الأسرية المعاصرة؛ فوضوح المفهوم والوعي بأهميته يؤول إلى توافق الأفكار والآراء وانسجام الرؤى والاتزان في التعامل مع مجموع الفكر الأسري، ويحدّ من الاختلاف

(١) الزحيلي، وهبة. **الأسرة المسلمة في العالم المعاصر**، بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٠م، ص١٩-٢٠.

(٢) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، دمشق: دار الفيحاء، ط٢، ٢٠٠٠م، كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم٦٥٨٥، ص١١٣١.

والتنازع لإدراك أفراد الأسرة بأن مفهوم التكامل الفكري لا يلغي التنوع والاختلاف؛ لأن "حكمة الله ﷻ في خلقه أن يختلفوا في النظر والرأي، وهذا الاختلاف والتباين هو الذي يحتم التكامل"[1] الفكري، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وموضع الشاهد هو أن تحقيق التعارف بين الناس عامة وبين أفراد الأسرة خاصة يقتضي تبادل الآراء والأفكار القائم على التنوع والاختلاف، وتقبُّل كل فرد لفكر الآخر. وعليه، فإن التنوع والاختلاف من أساسيات التكامل الفكري.

ب- مراعاة أسس الاختيار الصحيح في المرحلة الأولى لتكوين الأسرة، وهي مرحلة اختيار الزوج والزوجة، كونها المرحلة الأهم في البناء الأسري بجوانبه المختلفة ومنها البناء الفكري. ومعيار الاختيار الأهم هو: معيار الدِّين، لقوله ﷺ: "تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ."[2] فلا بدّ من مراعاة التقارب بين الزوجين في العمر والمستوى الاجتماعي والتعليمي والاقتصادي؛ لأنها تؤثر في الاستقرار الأسري وتَقبُّل كل فرد لرأي الآخر وفكره. وهذا يفضي إلى تحقيق التكامل الفكري الأسري.

ت- وحدة المصدر الذي تستقي منه الأسرة المعرفة الصحيحة وتحتكم إليه في توجيهها وتنظيمها، فوحدة المصدر مقوم أساسي لتحقيق الترابط والانسجام الفكري واستمراره، وذلك برجوع أفراد الأسرة إلى مصدر مشترك تستقي منه المعرفة الصحيحة الناظمة والحاكمة للرأي والفكر الفردي والجماعي. ويتمثل هذا المصدر بنصوص الوحي (القرآن الكريم والسنة النبوية والشريفة) والكون المنظور. وعليه، فإن تعدد المصادر التي يُعتمد عليها في البناء الفكري الأسري

---

(١) علي، سعيد إسماعيل. **تجديد العقل التربوي**، القاهرة: عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٥م، ص٥٠.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب: الرضاع، باب: استحباب نكاح ذات الدين، حديث رقم٣٦٣٥، ص٦٢٤.

وفي بناء العلاقات الأسرية وتنظيمها أدعى إلى إثبات الذات على حساب الكل، وإلى تعزيز الفردية والتضارب والاضطراب والفُرقة.[1]

ث- وحدة الغاية والأهداف التي يسعى أفراد الأسرة إلى تحقيقها، فوعي أفراد الأسرة المسلمة للغاية النهائية من البناء الأسري -التي هي تحقيق العبودية لله ﷻ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، واشتراكهم في منظومة الأهداف الأسرية التي يسعى أفراد الأسرة إلى تحقيقها -وخاصة الأهداف التي أفرزتها التغيرات المعاصرة والعولمة، كمواكبة التطورات المعاصرة بما يتناسب مع القيم والضوابط الإسلامية-، والحفاظ على مفهوم الأسرة المسلمة وعلى منظومة القيم الأسرية، وحماية الأسرة من مظاهر التفكك، تعد من المقومات التي تستند إليها الأسرة المسلمة في ترابطها وانسجامها الفكري.

ثانياً: أساليب بناء التكامل الفكري الأسري ومعوقاته

١- أساليب بناء التكامل الفكري الأسري:

يعتمد بناء التكامل الفكري الأسري على مجموعة من الأساليب التي يمكن إجمالها في محورين هما:

أ- المحور الأول: ممارسة الأساليب السوية في التربية الأسرية، كالتربية على المبادرة والتربية الفكرية الناقدة والتربية على الحرية المنضبطة المسؤولة والتربية بالقدوة.... فممارسة الأساليب السوية في التربية تحفّز أفراد الأسرة على إبداء أفكارهم وآرائهم وتبادلها من غير خوف أو تردد، وتسهم في تقبل رأي الآخر والبحث في صوابيته وصلاحه الواقعي، وفي تنمية الفكر الفردي

(١) العرايضة، **التكامل في التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص٢٧. انظر أيضاً:
- مرسي، أكرم رضا. **الموسوعة في قواعد تكوين البيت المسلم أسس البناء وسبل التحصين**، القاهرة: دار الأندلس، ط١، ٢٠٠٨م، ص٤٢، ٨٦٨.
- ملكاوي، **مفاهيم في التكامل المعرفي**، مرجع سابق، ص٢٨، ٣٤.

والجماعي، وتدعو إلى الانفتاح على الآخر وتبادل الآراء معه، وتزيد من الكفاءة المعرفية والفكرية للفرد، الأمر الذي ينمي الفكر فيحقق التوافق والانسجام الفكري الأسري.[1]

ب- المحور الثاني: التواصل الأسري المستمر، باستخدام أساليب التواصل اللفظية وغير اللفظية، كالكتابة والإشارة والعمل. والاعتماد على الأسلوب الحواري في التواصل، لارتباطه بالتعبير عن الفكر الفردي والفكر الجماعي للأسرة، ولأثره البالغ في ربط الآراء وانسجامها، وفي تحريك القدرات العقلية والفكرية وتنميتها، وتبادل الآراء والأفكار، وما يرافق ذلك من نقد وتصويب للأفكار والآراء وتثبيتها وقبولها.[2]

٢- معوقات بناء التكامل الفكري الأسري:

يواجه بناء التكامل الفكري للأسرة عدداً من المعوقات التي تحد من التوافق والانسجام الفكري الأسري وتمنع تحقيقه، ومن هذه المعوقات:

- قيام الأسرة على أسس غير صحيحة، وسوء اختيار أحد الزوجين أو كليهما للآخر، الأمر الذي يؤدي إلى الخلافات والاضطرابات الأسرية، وإلى ظهور مظاهر التفكك والعنف الأسري، وهذا يحول دون تحقيق التماسك والانسجام في العلاقات الأسرية، ومن ثَمَّ تنعدم فرص التقارب والتواصل الفكري بين أفراد الأسرة.

---

(١) النحلاوي، عبد الرحمن. **التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة**، بيروت: المكتبة الإسلامي، ط٢، ١٩٨٨م، ص١٨٤. انظر أيضاً:
- بني يونس، أسماء عبد المطلب. "تنمية مفهوم الذات وتوكيدها وتأثير الأسرة المسلمة فيها"، (أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ٢٠٠٧م)، ص٢١٩-٢٢٠.

(٢) محمد، سهير أحمد علي. "أثر تصميم البيت المسلم والاتصال الأسري في التربية"، (رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٨م)، ص١٣١، ١٣٩، ١٨٢. انظر أيضاً:
- رفاعي، سميرة عبد الله. "نحو بناء برنامج تربوي إسلامي للتماسك الأسري لدى واعظات محافظة إربد"، (رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠١٠م)، ص٣٦، ٤٧.

- شيوع الأمية بأشكالها (الأُميّة الدينية والتعليمية والثقافية والتواصلية...) بين أفراد الأسرة المسلمة -وخاصة بين الزوجين- بما يؤثر سلباً في العلاقات الأسرية. ففي هذه الحالة تقوم العلاقات الأسرية على العشوائية والتبعية والمزاجية، وينحصر دور الآباء في التربية الجسدية فقط، وتأمين الحاجات المادية للأسرة على حساب جوانب التربية الأخرى، وخاصة التربية الفكرية التي تشكّل عماد التكامل الفكري الأسري.(١)

- تحقيق الذات وإثباتها، فمع من أن تحقيق الذات وإثباتها من دلالات الصحة النفسية للإنسان وأحد محفزات التكامل الفكري إلا أن الفرد قد يشعر بأن العمل على بناء التكامل الفكري الأسري وتحقيقه يكون على حساب إثبات قدراته وتميزه الفكري، الأمر الذي يهدد مكانته وتميزه، فيلجأ الفرد إلى الانفراد بالفكر والرأي ويحاول الظهور على غيره. وعليه، يكون تحقيق الذات أحد معوقات بناء التكامل الفكري الأسري.(٢)

- استخدام الممارسات غير السّوية في التربية الأسرية، كالقسوة والتسلط والإهمال والتفرقة والتذبذب والقمع والعنف...، مما يؤدي إلى كبت الأفكار، وفرض الآراء على أفراد الأسرة وإلزامهم بها، وهذا يمنع إعمال العقل والحوار والمناقشة، ويحدّ من تبادل الآراء والأفكار ومن ثمّ يقلل من إحداث التنمية الفكرية المرجوة بين أفراد الأسرة.(٣)

---

(١) الكيلاني، ماجد عرسان. **ثقافة الأسرة المعاصرة**، دبي: دار القلم، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٠٨. انظر أيضاً:

- مجموعة من الباحثين. **التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة**، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ٢٠٠١م، ص٥٥.

(٢) ملكاوي، **مفاهيم في التكامل المعرفي**، مرجع سابق، ص٣١.

(٣) مجموعة من الباحثين. **التفكك الأسري دعوة للمراجعة**، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ٢٠٠١م، ص٤٢.

- الآثار السلبية للتغيرات المعاصرة والعولمة، وتمثل الأسرة المسلمة بها باسم الحداثة والتقدم. وهذا يمثل خطراً على تكامل البناء الأسري؛ إذ تفقد الأسرة المسلمة وظيفتها في التنشئة والتربية وتحدّ من دورها في تشكيل البنية النفسية والعقلية لأفرادها، فتظهر الفردية والانعزالية، وتشيع المصلحة والمنفعة الذاتية في العلاقات الأسرية، وينعدم التواصل الأسري بين أفراد الأسرة.

- قصور المناهج الدراسية عن تحقيق التكامل الفكري للطلبة، وتعزيزها للفردية؛ "فتنظيم الامتحانات على أساس التنافس الفردي -الذي يعتمد الدرجات الفردية- واستعمال أساليب التعليم التي لا تقوم على التعاون والعمل الجماعي،"[1] واتسام المحتوى الدراسي بوفرة المعلومات -التي بات الحصول عليها أمراً ميسوراً- وافتقاده للتكامل المعرفي ولمحفزات نمو القدرات الفكرية.. أدّى إلى نزوع الطلبة إلى الفردية وتقديم المصلحة الذاتية. وبوصف الطلبة مكوناً رئيساً من مكونات الأُسَر، فأمكن القول إنّ البناء الأسري قائم على شريحة كبيرة من أفراد يفتقدون أسس بناء التكامل والقدرات الفكرية المؤثرة في بنائه، والقدرة على الحوار والمناقشة والتعبير عن آرائهم وأفكارهم.

- شيوع الفوضى الفكرية بين أفراد الأسرة، المؤدية إلى الأفكار المضطربة والمتناقضة، والآراء والعشوائية والارتجالية في اتخاذ القرارات، والعنف الفكري بفرض الرأي على الآخر وإلزامه به،[2] والتعصب الفكري برفض الانفتاح على فكر الآخر للاستفادة منه وتوظيف النافع، وبذلك ينعدم الحوار القائم على تبادل الآراء والأفكار وينعدم الانسجام والترابط الفكري بين أفراد الأسرة.

---

(١) الكيلاني، ماجد عرسان. **التربية والتجديد**، دبي: دار القلم، ط١، ٢٠٠٥م، ص٨٢.

(٢) الندوي، أبو الحسن علي الحسيني. **نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٩٨٢م، ص٩.

ثالثاً: أهمية التكامل الفكري الأسري في الرؤية الإسلامية

تتجلى أهمية التكامل الفكري الأسري في كونه شكلاً من أشكال التفكير الأسري الجماعي الذي "يربط مصير الفرد بالجماعة، ومصير الجماعة بالفرد، ويجعل تبادل الرعاية بين الطرفين صفة لازمة،"[1] وفي كونه القوة الدافعة للأسرة لمواجهة التغيرات والتحديات المعاصرة المؤثرة في بنائها بواقعية وفاعلية، من خلال اعتبارات عدة، أهمها الآتي:

- يُسهم التكامل الفكري الأسري في تحصين الأسرة المسلمة من مظاهر التفكك الأسري -كصراع الأدوار بين أفراد الأسرة وخاصة بين الزوجين بأخذ كل منهما مكان الآخر، وظهور العنف الأسري بين الأزواج وفي التنشئة الأسرية[2] وانحسار مفهوم ودور الأسرة الممتدة...-[3] من خلال تفعيل القدرات الفكرية والتعبيرية وتنميتها، وبناء جسور التواصل الأسري القائم على التعبير عن الفكر والرؤى الفردية والجماعية. وبهذا نصل إلى جو من الاستقرار والترابط والتآلف بين أفراد الأسرة المسلمة، والتوازن في العلاقات الأسرية، وتنسيق الأدوار الأسرية بفاعلية وواقعية، ومن الأدلة الشرعية على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١]، فالآية تشير إلى مقوِّم من مقومات التماسك الأسري، وهو تحقيق السكن الزوجي والسكن الأسري الذي يسوده المودة والرحمة المؤدي إلى التلاحم والترابط بين أفراد الأسرة المسلمة.

- يؤدي التكامل الفكري الأسري إلى إيجاد القدرة على مواجهة المشكلات الأسرية؛ فهو "يحيل المشكلات إلى خبرات تزيد في حكمة أعضاء

(١) الكيلاني، ماجد عرسان. **أهداف التربية الإسلامية**، دبي: دار القلم، ط١، ٢٠٠٥م، ص٧١.

(٢) مجموعة من الباحثين، **التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة**، مرجع سابق، ص٨١، ٦٩.

(٣) مجموعة من الباحثين، **التفكك الأسري دعوة للمراجعة**، مرجع سابق، ص١٢١.

الأسرة، وتعلمهم كيف يواجهون الصعاب بصلابة وقوة، وتدربهم على تحويل المواقف الصعبة إلى نجاحات نافعة، وعلى حسن استثمار مواردهم ومؤهلاتهم العقلية والنفسية والاجتماعية والمادية بدلاً من الوقوع ضحية التوتر والانفعال وردود الفعل الآنية، التي لا تقوم على فهم ولا وعي وتؤدي إلى زيادة الخلافات الممزقة للأسر."[1] والتطبيق العملي لذلك يتبلور في قيام أفراد الأسرة بتحديد المشكلة والبحث عن أسبابها، واقتراح حلول وبدائل أخرى مقبولة، ويتم ذلك من خلال إعمال القدرات العقلية وتبادل الآراء والأفكار باستخدام الحوار والمناقشة في جو من المودة والاحترام. ومن ثمّ، العمل على ترابط الأفكار وتوافقها للوصول إلى حلول واقعية عملية مؤثرة ومشتركة بين الجميع.

- يؤثر التكامل الفكري الأسري في تضييق الفجوة بين القيم الأسرية والسلوك الممثل لها. فالقيم الأسرية المجردة تجاه كِبَر الوالدين وصلة الرحم والعدل الأسري... تترجم من خلال السلوك الظاهر لأفراد الأسرة، والسلوك الظاهر يعبّر عن الفكر الفردي أو الجماعي للأسرة، فبقدر إيمان الأسرة المسلمة بحاكمية منظومة القيم الإسلامية عامة ومنظومة القيم الأسرية خاصة، وبصلاحها لمواكبة التقدم ومواجهة التغيرات المعاصرة يكون تمثلها لها واستمرارها. وتتم ترجمة القيم الأسرية المجردة إلى سلوك ظاهر مشترك بين أفراد الأسرة باحتكام أفراد الأسرة إلى مصدر مشترك في تحديد القيم الأسرية المرغوب وغير المرغوب بها، الأمر الذي يؤول إلى اشتراك أفراد الأسرة في القيم الإسلامية الأسرية، وباستخدام الأساليب التربوية الأسرية المؤثرة في الدافعية لتمثل القيم سلوكاً ظاهراً واستمراره كاستخدام أسلوب القدوة، والحوار والترغيب والترهيب...؛ إذ يتم تفعيل القيم الأسرية وتمثلها سلوكاً، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ

(١) الكيلاني، **ثقافة الأسرة المعاصرة**، مرجع سابق، ص٩٠.

ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤]، فالآية تشكل مصدراً مشتركاً بين أفراد الأسرة المسلمة المبين لبعض السلوك الممثل لقيمة برّ الوالدين -وهو الإحسان إليهما والنهي عن نهرهما والقول الكريم وخفض الجناح لهما، وخاصة عند الكبر، والدعاء لهم بالرحمة-. والحكم بالوجوب يمثِّل الدافع المؤثر في تمثل القيمة، ويُحَفز الدافع باستخدام أسلوب تربوي مؤثر لتعلم وتعليم قيمة بر الوالدين، واستمرار تمثلها كاستخدام أسلوب القدوة.

- يحدّ التكامل الفكري الأسري من مظاهر التقليد والتبعية للغير. فقد اتّسم الفكر الأسري في ظل ثورة التكنولوجيا والمعلومات والغزو الثقافي بعدم استعمال القدرات العقلية وضعف التواصل الأسري، واللجوء إلى المحاكاة والاكتفاء بالمألوف القائم،(١) وبالنقل العشوائي لفكر الآخر دون تمييز، وتحرّي الفكر الموافق للمنطلقات الإسلامية من غيره، ومحاكاة العادات الغربية بأساليب الحياة كاللغة واللباس والطعام والحركات والعلاقات بين الجنسين والاختلاط، ومحاكاة أساليب التنشئة القائمة على الاستقلالية والحرية المطلقة باسم التقدم والتطور والتجديد. ومن الأدلة الشرعية المنكرة لهذا قوله ﷺ: "لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا."(٢) وقد "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ."(٣)

---

(١) الكيلاني، **أهداف التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص٦٨.

(٢) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٥م، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في الإحسان والعفو، حديث رقم٢٠١٤، ص٥٩٠. قال أبو عيسى: "حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه."

(٣) البخاري، أبو عبد الله إسماعيل. **صحيح البخاري (الجامع الصحيح)**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠١٠م، كتاب: اللباس، باب: المتشبهون بالنساء، والمتشبهات بالرجال، حديث رقم٥٨٨٥، ص١٠٣٩.

- يحدّ من ذلك -أيضاً- الاعتناء بالتربية الأسرية بجوانبها المختلفة، والتركيز على جانب التربية الفكرية القائمة على تحديد منهج التفكير والالتزام به، وتحديد مصادر المعرفة وأدوات اكتسابها، وتحريك القدرات العقلية والحث على الاجتهاد الفكري، وتنمية التفكير الناقد المتحري للصواب، وتجسير العلاقات الفكرية مع الآخر...،[1] وبهذا، يتحرر أفراد الأسرة من التبعية الفكرية والتقليد الأعمى، ويصبح الترابط والانسجام وتبادل الآراء والأفكار نتائج حتمية للتربية والصياغة الفكرية الأسرية.

- يؤثر التكامل الفكري الأسري في التخلص من الثنائيات المتصارعة ومظاهر الازدواجية في الأسرة المسلمة -كازدواجية أساليب التنشئة الأسرية والاجتماعية، وازدواجية الشخصية والتفكير والسلوك...- الناجمة عن اختلاف الأسس التربوية بين المؤسسات التربوية والأسرة، والصراع بين ما تتطلبه الحياة وتعاليم الدين، والتناقض بين التربية الأسرية ومتطلبات الواقع المعيش، وهذا ما أشار إليه أبو الحسن الندوي -في وصفه لحال الشباب في عصر التقدم والتغير المستمر- فقال: "هناك عقائد آمنوا بها -الشباب المسلم وشباب العالم عامة- كمسلم ولد في بيت إسلامي.. في أسرة إسلامية، ونشأ على كثير من العقائد (...) في بيئة دينية تؤمن بمبادئ الإسلام، ثم سيق إلى دور ثقافة يُسمع فيها أولئك الأساتذة -الذي يجلهم لأنهم أصحاب اختصاص وأصحاب زعامة في كثير من العلوم- كل ما ينقض ما أبرمته البيئة وكل ما غرسته في قلبه وعقله من التربية الإسلامية. يسمع ويرى كل ما ينفي ذلك أو يقلل قيمته على الأقل فيقع في تناقض عجيب وفي صراع فكري عنيف."[2]

---

(١) الطريري، عبد الرحمن. **العقل العربي وإعادة التشكيل**، الدوحة: وزارة الأوقاف، كتاب الأمة، عدد٣٥، شوال ١٤١٣هـ، ص١١.

(٢) الندوي، **نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٠٣، ١٠٤.

- وبالتربية الأسرية -القائمة على تحقيق التكامل الفكري الأسري وتفعيله والمؤسسة على وحدة المصدر والغاية وعلى استخدامه الأساليب التربوية السوية- يتجه كل فرد في الأسرة إلى إثبات ذاته من خلال تحقيق مهامه الأسرية، ويتجه أفراد الأسرة إلى استخدام الأساليب الأسرية المستمدة من مصدر مشترك لتحقيق أهداف مشتركة، فيتشكّل لدى الفرد معايير فكرية مستمدة من الأصول المعرفية الإسلامية الثابتة للحكم من خلالها على الواقع المعيش.

- يُفعِّل التكامل الفكري الأسري الطاقات الإبداعية الكامنة عند أفراد الأسرة، وينميها من خلال تربية الجوانب الإبداعية للأسرة المتمثلة بالشخصية الإبداعية؛ إذ يتم تربية أفراد الأسرة على سمات الشخصية المبدعة كالقوة والمسؤولية والمبادرة وعلو الهمة...[١] ومن الأدلة الشرعية المؤكدة لذلك: قول الرسول ﷺ: "أحبّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمّام،"[٢] وموضع الشاهد هنا: تسمية الأبناء بأسماء تحمل سمات الشخصية المبدعة، فحارث بمعنى: كاسب، وهمام: مِنْ همَّ يَهُمّ، فلا يخلو إنسان عن كسب وهَمٍّ."[٣]

- تربية الأسرة على سمات العمل الإبداعي كالإتقان واستمرارية العمل...[٤] ومن الأدلة الشرعية على سمة الإتقان الملازمة للعمل الإبداعي قول الرسول ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ."[٥] وتربية الأسرة

(١) أبو غريبة، إيمان. **الإبداع التربوي**، عمان: دار البداية، ٢٠٠٨م، ص٣٦.

(٢) أبو داود، سليمان بن الأشعث. **سنن أبي داود**، عمان: دار الأعلام، ط١، ٢٠٠٣م، كتاب: الأدب، باب: في تغيير الأسماء، حديث رقم٤٩٥٠، ص٨٠٤.

(٣) العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق. **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، بيروت: دار الفكر، ط٣، ١٩٧٩م، كتاب: الأدب، باب: في تغيير الأسماء، ج١٣، حديث رقم٤٩٢٩، ص٢٩٣.

(٤) أبو غريبة، **الإبداع التربوي**، مرجع سابق، ص١٠٩.

(٥) الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٩١م، كتاب: البيوع، باب: نصح الأجير وإتقان العمل، حديث رقم٦٤٦٠.

على الفكر الإبداعي الذي يتسم بالقدرة العالية على التفكير والذاكرة القوّية والنقد البنّاء والقدرة على التحكم بالأفكار والأصالة في التفكير، وحضور البديهة والإتيان بأفكار غير مألوفة، والخيال الفعّال، وإدراك العلاقات بين الأشياء، وامتلاك المعرفة المكثّفة عن مجال أو أكثر، والمرونة بالتفكير وكثرة الإنتاج في المجال العملي، والاستقلالية والاتّساق في التفكير والنظر العميق بالأفكار الجديدة.(١) ومن الأصول الشرعية الدالة على أحدى سمات التفكير الإبداعي -وهي التفكير التحليلي- قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩١ - ١٩٢].

رابعاً: دور الوالدين في تحقيق التكامل الفكري الأسري وتفعيله

انطلاقاً من قول الرسول ﷺ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا..."(٢) فإن مسؤولية تحقيق التكامل الفكري الأسري وتفعيله من المهام الرئيسة للوالدين. ويظهر هذا من خلال بيان دور الزوجين في تحقيق التكامل الفكري بينهما، وبيان دور الوالدين في تفعيل التكامل الفكري الأسري:

١- دور الزوجين في تحقيق التكامل الفكري بينهما في الرؤية الإسلامية:

يظهر دور الزوجين في تحقيق التكامل الفكري الأسري بينهما من خلال مجموعة مترابطة من الاعتبارات أهمها الآتي:

---

(١) أبو غريبة، **الإبداع التربوي**، مرجع سابق، ص١١٢.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الاستقراض وأداء الديون...، باب: العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه، حديث رقم٢٤٠٩، ص٤٢٦.

أ- احتكام الزوجين لوحدة المرجعية الإسلامية الحاكمة والناظمة للأسرة المسلمة. فالمرجعية الإسلامية تقدم منظومة من الأحكام والمعايير المستمدة من الأصول الإسلامية (القرآن الكريم والسنة النبوية)، المتسمة بالإلزامية والثبات -في جانبيها النظري والعملي-، وبتكامل جميع الجوانب النفسية والجسدية والاجتماعية... وبالواقعية للحياة المعيشية وتغيراتها المستمرة والمنظمة للعلاقات الأسرية عامة والعلاقة بين الزوجين خاصة، والموجهة للتفكير الأسري. ومن الأصول الشرعية المبينة لحاكمية المرجعية الإسلامية لمجالات الحياة عامة -ومنها النظام الأسري- قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فاحتكام الزوجين للمرجعية الإسلامية بمعرفة ووعي "ستكون نتيجته التزام الزوجين بمنهج تفكير واضح غير مضطرب ومشوه، وتحديد الثوابت التي لا تقبل الجدل والنقاش، وكذلك، تحديد المتغيرات القابلة لإعادة النظر فيها كلما اقتضى الأمر،"[1] وهذا ما يقتضيه التكامل الفكري بين الزوجين. ومن الأدلة التطبيقية في السنة النبوية على وحدة المرجعية الإسلامية المفضية إلى التكامل الفكري بين الزوجين: طلب عَمرة-رضي الله عنها- من زوجها الاحتكام إلى الرسول ﷺ في عطيته لولدها، وموافقة زوجها لها، "عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ -رَضِيَ اللَّهُ- عَنْهُمَا وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً. فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟" قَالَ: لَا. قَالَ: "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ". قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ."[2]

---

(١) الطريري، **العقل العربي وإعادة التشكيل**، مرجع سابق، ص١٣٩.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الهبة، باب: الإشهاد في الهبة، حديث رقم٢٥٨٧، ص٤٥٦.

ب- مراعاة الكفاءة في أسس اختيار كل من الزوجين للآخر، بمعنى: "أن يكون بين الزوجين قدر من التقارب في أمور مخصوصة، يعتبر الإخلال بها مفسداً للحياة الزوجية."[1] فالكفاءة لا تعني المساواة الكاملة. ومن الأدلة الشرعية الدالة على اعتبار الكفاءة في الزواج: قول الرسول ﷺ: "تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ، وأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ."[2] ومن الأمور التي تعتبر فيها الكفاءة بين الزوجين: العمر والعقل والمال والمهنة والنسب. وفي ظل التغيرات المعاصرة والتطور التعليمي و"التكنولوجي" وانتشار التعليم بين النساء فإنه لا بدّ من النظر في الكفاءة التعليمة بين الزوجين -أو الكفاءة المعرفية-، فذلك أنفى للشعور بالفوقية أو الدونية من أحد الزوجين تجاه الآخر، المفضي للشقاق والنزاع والتفكك الأسري، وأدعى للوعي بالمقاصد الكلية والجزئية من العلاقة بين الزوجين، وأدعى لتحقيق الترابط والانسجام والتوافق الفكري بينهما.[3]

ت- وعي كلا الزوجين لاختلاف الطبيعية الخَلْقية لكل منهما، وما يلازم هذا الاختلاف من اختلاف المهام والأدوار الأسرية الموكولة لكِليهما. والاختلاف يعني: التعدد والتنوع المؤدي إلى تبادل العطاء والأفكار والترابط والتكامل، ولا يعني الخلاف القائم على التنافر في الطبيعة والمؤدي إلى التباغض والتباعد والتفكك.[4] ومن الأدلة الشرعية المؤكدة ذلك: قوله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ

---

(١) مجموعة من الباحثين، **التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة**، مرجع سابق، ص٤٥.

(٢) ابن ماجه، أبو عبد الله بن يزيد. **سنن ابن ماجه**، دمشق: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٩م، كتاب: النكاح، باب: الأكفاء، حديث رقم١٩٦٨، ص٣٥. (حديث حسن بطرقه وشواهده).

(٣) مجموعة من الباحثين، **التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة**، مرجع سابق، ص٤٥ - ٤٦. انظر أيضاً:
- مجموعة من الباحثين، **التفكك الأسري دعوة للمراجعة**، مرجع سابق، ص١٢٨.
- عقلة، محمد. **نظام الأسرة في الإسلام**، عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، ط٢، ١٩٨٩م، ص٣٨١-٣٨٤.

(٤) الكيلاني، **ثقافة الأسرة المعاصرة**، مرجع سابق، ص٢٩.

لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤]، فمهمة ومسؤولية القوامة التي أوكلها الله ﷻ للرجل متناسبة وملازمة للمؤهلات التي خُلِقَ عليها من قوة في البدن والعزم والعمل، وهذا ما بيّنه الرازي في تفسيره؛ فالفضل في صفات طبيعية للرجل -كالعقل والحزم والقوة- وفي أحكام شرعية -كزيادة النصيب في الميراث وفي تحمل الدية في القتل الخطأ...- يدل على فضل الرجال على النساء.(١) وفسّر ابن عاشور التفضيل بقوله: "فالتفضيل هو المزايا الجبلّية التي تقتضي حاجة المرأة إلى الرجل في الذَّبِّ عنها وحراستها لبقاء ذاتها."(٢) وللقوامة جانبان متلازمان متكاملان: جانب يتعلق بحق للزوجة في القيام بمصالحها وحفظها وصيانتها، وأهم أشكاله: النفقة وعدم الإضرار بها ومعاشرتها بالمعروف. وجانب يتعلق بحق الزوج بطاعته وولايته الأسرية،(٣) وقول الرسول ﷺ: "...مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ"، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟" قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: "فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا. أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟" قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: "فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا."(٤) يدل على الطبيعة التي خُلقت عليها النساء من تفوّق الجانب العاطفي المتكامل مع جانب القوة وعقل الرجل. ونقصان العقل لا يعني عدم أهلية المرأة للتفكير وإعمال العقل، وهذا ما أكّده الرسول ﷺ. وعليه، فإن العلاقة بين

(١) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن. **التفسير الكبير**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٤م، ج١٠، ص٧١.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**، بيروت: مؤسسة التاريخ، ط١، ٢٠٠٠م، ج٤، ص١١٤.

(٣) مرسي، أكرم رضا. **الأسرة المسلمة في العالم المعاصر**، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ٢٠٠٠م، ص٦٤.

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الحيض، باب: ترك الحائض الصوم، حديث رقم٣٠٤، ص١٠٧.

الزوجين الناجمة عن اختلاف الطبيعة الخَلقية، واختلاف الدور الأسري لكل منهما هي علاقة تكامل وترابط وانسجام، ولن تتحقق هذه العلاقات إلا إذا وعى كلٌ من الزوجين اختلاف الطبيعة الخلقية لكل منهما.

ث- التواصل المستمر بين الزوجين بالتعبير عن الأفكار والمشاعر الذاتية والأسرية، وتبادل الآراء في جو تسوده المودة والاحترام. فالاتصال بين الزوجين القائم على وعي كل منهما لمهارات التواصل وتنوع أساليب التواصل اللفظية وغير اللفظية، ومعرفة كل منهما لطبيعة الآخر، أدعى إلى حماية الأسرة -من التوتر والإضطرابات وسيادة الشعور بالسلطة أو الدونية، والضعف المؤدي إلى إثبات الذات بالعنف، وفرض الرأي على الآخر وإلزامه به- وإلى تحقيق الكفاية العاطفية والصحة النفسية واستقرار الأسرة وتماسكها، فالسكن في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١] من ثمار التواصل بين الزوجين. وفيما يتعلق بالجانب الفكري، فإن التواصل بين الزوجين يسهم في تحقيق النضج الفكري للزوجين -من خلال تبادل الآراء وتحريك الفكر وتنميته، وما يرافقه من حوار ومناقشة- وترابط في الأفكار وتصويب الأفكار والآراء أو تثبيتها في جو يسوده العلم والوعي والاحترام. ومن الشواهد التطبيقية في السنة النبوية على التواصل بين الزوجين: "أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِىِّ ﷺ كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئاً لاَ تَعْرِفُهُ إِلاَّ رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ "مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ". قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الانشقاق: ٨] قَالَتْ: فَقَالَ: "إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ،""[1] وموضع الشاهد مراجعة السيدة عائشة للرسول ﷺ في تفسير الآية للوصول إلى الفهم الصحيح.

(١) المرجع السابق، كتاب: العلم، باب: من سمع شيئاً فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه، حديث رقم١٠٣، ص٧٧.

٢- دور الوالدين في تفعيل التكامل الفكري الأسري في الرؤية الإسلامية:

يتمثل دور الوالدين في تفعيل التكامل الفكري الأسري من خلال: ممارسة التنشئة السوية للأبناء، والبعد عن الممارسات غير السوية المؤدية إلى التفكك والانحراف الفكري والسلوكي للأسرة المسلمة القائمة في أساسها على التفكير العلمي الناقد، وهو تفكير ضروري في ظل ثورة المعلومات والمعارف و"التكنولوجيا". فنوع التفكير يسهم في انتقاء أفراد الأسرة لنمط الحياة المعيش. وتقتصر الدراسة على بيان دور الآباء في ممارسات التنشئة السوية للأبناء المفعلة للتكامل الفكري الأسري، ومنها الآتي:

أ- التنشئة الانفتاحية التواصلية، ففي ظل ثورة المعلومات والاتصالات بات من الضروري وعي الآباء إلى ممارسة التنشئة الانفتاحية التواصلية مع تطورات العالم المحيط، لمواكبة التقدم والتغيرات المعاصرة المستمرة، وللتخلص من الشعور بالغربة والتخلف، ولتحقيق التعارف الإنساني، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات: ١٣]. فالتعارف يؤدي إلى تخصيب الذهن وإغناء العقل واختصار الزمن وتمييز الصواب[١] وتفعيل الإبداع وإغنائه، وتبادل المعرفة والخبرات المفيدة، وفهم الآخر وأساليب التعامل معه وتنمية الفكر.[٢] ولا يمكن أن تحيا الأسرة المسلمة منغلقة على نفسها في ظل عصر العولمة وثورة "التكنولوجيا" والمعلومات، فلا بدّ من الانفتاح والتواصل المستمر مع التقدم والتطور، بوعي وفكر ناقد للمفيد والصائب، المتناسب مع المنطلقات الإسلامية للأسرة المسلمة وضمن ضوابط تكفل الحفاظ على الفكر والشخصية من الذوبان في الآخر.

---

(١) حسنه، عمر عبيد. **رؤية في عوامل النهوض**، بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٦م، ص١١٨.

(٢) راجع: معاش، مرتضى. "الانفتاح والتواصل ومنحنيات الإصلاح والتجديد"، **مجلة النبأ**، عدد٥٦، ٢٠٠١م، على الرابط:

– www.annabaa.org/pastnba/index.htm

تاريخ الدخول: ٢٠١٣/١/١٣م.

ب- التنشئة الاستقلالية التي يسعى الآباء من خلالها إلى تكوين شخص يعتمد على نفسه في الفكر والعمل والقول، ويتصل بالمجتمع ويشعر بمسؤوليته نحوه وبحقوقه عليه، وينسجم معه -بحيث يندمج فيه ويحتفظ بفرديته- ويشعر بالأمن الشخصي، ويتصف بروح الإقدام والمخاطرة والشعور بالثقة بالنفس،[١] فتنمو بذلك قدرته على تخطي الصعوبات ومواجهة الواقع وإظهار ذاته وآرائه بثقة وإقدام، فلا يحتاج إلى التقليد ومحاكاة الآخر لإثبات ذاته، والتخلص من التبعية للغير، وهذا ما حث عليه الرسول ﷺ في قوله: "لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا،"[٢] وهذا يتطلب تشجيع الأبناء على الإفصاح عن أفكارهم ومشاعرهم واحتياجاتهم.

ت- التنشئة على الحوار؛ إذ يُعد الحوار أسلوباً من أساليب التربية والتعليم الفعال الذي يؤدي إلى الإقناع الفكري وعدم ترديد المعلومات ترديداً أعمى دون فهم لمضمونها،[٣] ويتضمن الحوار والمناقشة استعمال العقل والحجج المنطقية واحترام ذات المخاطب ورأيه.[٤] ويعزز الحوار والمناقشة الثقة بالنفس وتوكيد الذات وتحقيقها، وشجاعة التعبير عند الأبناء، وقد تجلّت التنشئة الحوارية في حوار الرسول ﷺ مع الشاب الذي طلب منه ﷺ أن يأذن له بالزنا. فحاوره ﷺ وأقنعه بالحجة بخطأ طلبه، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وقَالُوا: مَهْ مَهْ! فَقَالَ:

---

(١) القوصي، عبد العزيز. **أسس الصحة النفسي**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط٦، (د. ت.)، ص٣٣٦.

(٢) الترمذي، **سنن الترمذي**، مرجع سابق، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في الإحسان والعفو، حديث رقم٢٠١٤، ص٥٩٠. قال أبو عيسى: "حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه".

(٣) مرسي، محمد منير. **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، القاهرة: عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٢م، ص١٣٢.

(٤) النحلاوي، عبد الرحمن. **التربية بالحوار**، دمشق: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٣.

"ادْنُهْ"، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ. قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟"، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ."[1] فحوار الأبناء من ممارسات التنشئة الفعالة في تنمية التفكير وتعديل السلوك لقيامه على الإقناع بإقامة الحجة.

ث- التنشئة على قوة الإرادة، والإرادة هي: "نزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه عن طريق العقل بأنه ينبغي أن يُفعل أولا يُفعل."[2] وتربية الإرادة عند الأبناء تكون من خلال اتباع المنهجية الصحيحة التي يضعها الآباء للأبناء، ومن ذلك: تعويد الأبناء على التعبير عن رغباتهم واحتياجاتهم، وعن رفضهم لما لا يريدون، وتعويد الأبناء على مواجهة نقاط الضعف والأخطاء لئلا يتحول إحساس الطفل بالنقص حيال مواقف الفشل أو العجز إلى عقدة نقص. فالتنشئة على الإرادة تساعد الأبناء على حصر مشكلاتهم وعدم إخفاء مشاعر النقص أو الاعتراف بالضعف حيال المواقف التي يتكرر فيها،[3] والتخلص من الشعور بالانهزامية والانسحاب من مواقف الحياة، ومن ثَمَّ، تحقيق النجاح في مختلف جوانب الحياة. ومن مقومات التنشئة الإرادية:

---

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ٢٠٠٨م، حديث رقم٢٢٢٦٥، ص٢٧٥.

(٢) الزين، سميح عاطف. **معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة**، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط١،١٩٨٠م، ص٤٢٣.

(٣) أسعد، يوسف ميخائيل. **قوة الإرادة**، القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٩٧م، ص١٥٧-١٥٨.

تحقيق الثقة بالنفس وغرس المثل العليا والوعي بالذات وتحقيقها.[1] ومما ينبه إليه: أن قوة الإرادة متفاوتة بين الأبناء؛ فهي بحسب علماء النفس إرادة قوية وإرادة متوسطة وإرادة ضعيفة،[2] فلا بد للآباء من توجيه تربيتهم صوب قوة الإرادة عند الأبناء وتخليصهم من ضعفها، لما لذلك من أثر في نمط التفكير، واستمرار ممارسة السلوك السوي وتعديل السلوك غير السوي. ومن الشواهد التطبيقية على التنشئة على الإرادة في السنة النبوية: استئذان النبي ﷺ غلاماً في إعطاء الشراب لأشياخ كانوا على يساره والسماح له بالتعبير عن رغبته أو عدمها، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: "أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟" فَقَالَ الْغُلَامُ: لَا وَاللَّهِ لَا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَداً، فَتَلَّهُ فِي يَدِهِ."[3]

جـ- التنشئة التوكيدية للذات، فإن من أهداف التنشئة الأسرية السعي لتوكيد الذات عند الأبناء من خلال تشجيعهم على الاعتقاد بأهمية تحقيق الذات وتوكيدها ورفع مستوى التدين والوعي الديني،[4] وإشباع الاحتياجات المختلفة -كالحاجة إلى الأمن والاحترام والتقدير والمحبة واللعب والتعبير-[5] وتحمّل مسؤولية الأقوال والأعمال والدفاع عنها، والتدرب على تقبل وحب الذات بمواصفاتها الواقعية، وتعويد الأبناء على أن يتصرفوا على طبيعتهم ويتفاعلوا مع الآخرين، وتعليمهم التفكير النقدي الصحيح،[6] وغيرها العديد من الأساليب

(١) الزين، **معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة**، مرجع سابق، ص٤٢٣-٤٢٧.

(٢) المرجع سابق، ص٤٢٩.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الهبة، باب: الهبة المقبوضة وغير المقبوضة والمقسومة وغير المقسومة، حديث رقم٢٦٠٥، ص٤٥٩.

(٤) بني يونس، **تنمية مفهوم الذات وتوكيدها وتأثير الأسرة المسلمة فيها**، مرجع سابق، ص٢٤٣.

(٥) النحلاوي، **التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة**، مرجع سابق، ص١٣٦-١٤٤.

(٦) للمزيد راجع:

- بني يونس، **تنمية مفهوم الذات وتوكيدها وتأثير الأسرة المسلمة فيها**، مرجع سابق، ص١٩١-٢٤١.

والوسائل التي من شأنها تحقيق الذات وتأكيدها عند الأبناء. وقد ظهرت التنشئة التوكيدية بتشجيع عمر بن الخطاب ﷺ لابنه عبد الله ﷺ على التعبير عن أفكاره بحضرة الرسول ﷺ لامتناعه عن التعبير بما وقع في نفسه حياءً، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِىَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدِّثُونِى مَا هِىَ؟" قال: فَوَقَعَ النَّاسُ فِى شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِى نَفْسِى أَنَّهَا النَّخْلَةُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هِىَ النَّخْلَةُ". قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِى بِمَا وَقَعَ فِى نَفْسِى، فَقَالَ: لأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِى كَذَا وَكَذَا."[1]

والملحوظ مما تقدم بيانه أن تفعيل التكامل الفكري الأسري يعتمد إلى حد كبير على أنماط التنشئة الأسرية التي يمارسها الآباء.

خاتمة:

تتلخص الفكرة الإجمالية من البحث بأن دراسة التكامل الفكري الأسري في الرؤية الإسلامية من الضرورات الملحة في الواقع المعاصر، لمواجهة ما شهدته الأسرة المسلمة من تغيرات سلبية في ظل الغزو الثقافي الغربي والتغيرات المعاصرة؛ فقد تعرضت الأسرة المسلمة للتغير في مفهومها وأصل بنائها ووظائفها ونظامها وغاياتها وعلاقاتها، وظهرت دعوى بناء الأسرة اللاتقليدية وبناء العلاقات الأسرية على أساس المنفعة والمصالح المادية، وسيادة القيم والثقافة الغربية في كيان الأسر المسلمة، وضعف مشاعر المودة والرحمة -التي تعد أسّ الكيان الأسري-، وظهور الانعزالية والمصالح الفردية، وفقدت الأسرة المسلمة أثرها في الصلاح والتقدم الاجتماعي بدعوى التقدم والتطور. فالتكامل الفكري الأسري كفيل بإعادة بناء الأسرة المسلمة.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: العلم، باب: الحياء في العلم، حديث رقم١٣١، ص٨٢.

والجديد موضوع البحث ذاته؛ إذ لم يتم بحثه مسبقاً -ولا سيّما بيان الرؤية الإسلامية للتكامل الفكري الأسري والخروج بتعريف للتكامل الفكري الأسري، من خلال النظر في مجمل تعريفات التكامل والفكر والأسرة - فلم أقف على تعريف له، وبيان مقومات التكامل الفكري الأسري وأساليب بنائه ومعوقاته من خلال الاطّلاع على الدراسات التربوية والدراسات الأسرية الإسلامية، وربط المعلومات وتوجيهها لبناء موضوع البحث.

ويظهر التطبيق العملي في البحث في أهمية التكامل الفكري الأسري، وفي بيان التطبيقات العملية من الأدلة الشرعية عند بيان دور الوالدين في تحقيق التكامل الفكري الأسري وتفعيله. وترى الباحثة أنه من الضروري دراسة دور السياسات الرسمية والمؤسسات التربوية -كالمدارس والجامعات- في تحقيق بناء التكامل الفكري الأسري ودراسة أثر وسائل الإعلام والإنترنت على التكامل الفكري للأسرة، ودراسة أثر التواصل الأسري في بنائه.

openkan.com